

الواقعيه في شعر فدوي طوقان

دکتر فرزانه رحمانیان کوشکی

عضو هیأت علمی دانشگاه آزاد اسلامی واحد رامهرمز

چکیده

فدوی طوقان شاعر فلسطینی قربانی برخی آداب و رسوم خانواده خود گشت که بدان علت نتوانست ادامه تحصیل دهد. اما برادر او، ابراهیم طوقان شاعر معروف دست او را گرفت و در راه آموزش خواهرش چیزی دریغ نکرد. از این طریق بود که فدوی توانست قدم در راه شعر بگذارد، در ابتدا به تقلید از وی شعرهای کلاسیک خود را سرود. شایان ذکر است که نحوه زندگی او در آن خانواده و تجربه های شخصی اش موجب شد که شعرش سبک رومانتیک داشته باشد. اما جنگ های سال ۱۹۴۸ و ۱۹۶۷ او را واداشت تا پيله ای را که دور خود تنیده بود پاره کند و از نوشتن شعرهای رومانتیک به صحنه زندگی رو آورد و واقعیتها را لمس کند و همراه دیگر مردمان وطن خود در واقعیتهای تلخی که بر آنان می گذشت مشارکت داشته باشد لذا به سرودن شعرهای میهن پرستی که ناشی از عمق فاجعه بود روی آورد و همه تلاش خود را مصروف به تصویر کشیدن دردهای مردم کرد زیرا با تمام وجود آنها را احساس کرد و واقعیتهای زندگی را صادقانه به تصویر کشید و به نوعی به سمت واقعگرایی کشیده شد و این مساله ای است که ما در این مقاله سعی بر اثبات آن نموده ایم و در اشعار وی نشانه هایی از واقعیت های اجتماعی و سیاسی مردمان فلسطین بیان کردیم که گاهی واقعیتها را در لفافه نمادها و با اسطوره ها قرار داده تا بدین طریق حقوق از دست رفته انسان را در فلسطین نشان دهد.

واژه های کلیدی: فدوی طوقان، واقعگرایی، شعر فلسطین، واقعیتهای اجتماعی و سیاسی.

الملخص

فدوي طوقان الشاعر الفلسطيني راحت ضحية بعض الاعراف و التقاليد الاسريه و لم تتمكن من اكمال تعليمها و لكن شقيقها الشاعر ابراهيم طوقان أخذ بيدها و سدد خطاها و بذلك تعرفت إلى عالم الشعر عن طريقه فبدأت بتقليده فكانت أشعارها ذات طابع كلاسيكي و لقد اتجهت إلى الرومانسيه و الذاتيه في بدايات حياتها الشعريه بسبب طريقه نشأتها و بعض التجارب الشخصيه فعندما نشبت حرب ١٩٤٨ بين العرب و اسرائيل كسرت الشرئقه التي نسجت حول نفسها و خرجت إلى معترك الحياه فجنحت للواقعيه في أشعارها و شاركت الجماهير الفلسطينيه في مأساتهم و خرج الكثير من قصائدها إلى الوجود من خلال معاناتها لاحتلال اليهود لأراضي فلسطين. و نحن في هذه مقاله نحاول أن نبين ملامح الواقعيه في شعر فدوي طوقان حيث ظهرت تلك الملامح احياناً مغلفه بالرمزيه و أحياناً تحت ستار الشخصيات التاريخيه و الدينيه حتي تبين الواقع الاليم الذي يعيشه الانسان المهضوم حقه في فلسطين.

الكلمات الرئيسيه: فدوي طوقان، الواقعيه، الشعر، مأساه فلسطين، الواقع الاجتماعي و السياسي.

المقدمه

اعتبر بعض الأدباء الفلسطينيين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ايذاناً لنشأة الشعر الفلسطيني، هذا الشعر الذي يعتبر امتداداً لحركه الشعر العربي لأنه لم ينشأ من فراغ. و لقد نما هذا الشعر و ترعرع ليواكب الركب علي المستويين العربي و العالمي، و مرّ بمراحل تطور ابتداءً من القصيده الكلاسيكيه، ثم الوصول الي الاتجاه الرومانسي و الرمزي و الواقعي وانتشار الشعر الحر داخل الأرض المحتله و خارجها. و كانت نكبه عام ١٩٤٨ و مأساه ١٩٤٧ و غيرهما من الأحداث من مصادر الوجداني و الالهام للشعراء في فلسطين و العالم العربي و تفاعلوا مع الأحداث و عبّروا عن الأم الشعب و آماله و رسموا الطريق لحل قضيه فلسطين و التحذير من خطر الصهيونيه و الامبرياليه. و شعراء فلسطين كسائر الشعراء العرب تنوعت قصائدهم بتنوع موضوعاتها و تنوعت عندهم الاتجاهات الشعريه الحديثه و المدارس الأدبيه و لا بد إلا ننسي أن ظروف هذا البلد و شعبه املت علي الشعراء اهتمامات خاصه بواقعهم، و إن كان شعرهم ثمره لعلاقاتهم مع انفسهم و مع الواقع و مع الناس. و برز الاتجاه الواقعي عند الكثير من الشعراء الفلسطينيين الذين حصروا فكرهم و مشاعرهم بواقع شعبهم و ارتبطوا بدنيا الواقع، و قد يصعب ان نصنف هذا الشاعر او ذلك تبعاً لهذا الاتجاه او ذلك بحسب ما نعرف من اختلاف اساليبهم و نوازعهم الاجتماعيه و مذاهبهم السياسيه و في اشعارهم ايضاً قد يصعب التمييز بين الاتجاهات المختلفه اذ قد تتداخل في قصيده واحده اتجاهات شعريه مختلفه يتعسر وضع الحدود الفاصله بينها، و نحن في هذه مقاله بصدد البحث عن ملامح الواقعيه و اثبات وجودها في شعر الشاعر. فدوي طوقان، فقد امتازت هذه الشاعره بكتابه الشعر الرومانسي لفته و لكن بعد نكبه عام ١٩٤٨ حدث تحول في اشعارها فهل قادها هذا التحول نحو الواقعيه هذا ما سنكشفه من خلال دراسة اشعارها، و هناك اطروحه قد بحثت الالتزام الوطني في شعر فدوي طوقان كما بينوا الرومانسيه عند هذه الشخصيه ولكن لم تخلص دراسه نفسها لبحث جانب الواقعيه في شعرها و بما انها من اساتذه الشعر في فلسطين حيث يقال عنها عمه الشعراء الفلسطينيين و حصة فلسطين في ريادة الشعر العربي الحديث، شاعرة النكبه و

شاعرة المقاومة، خنساء فلسطين لذا كان حريّ بنا أن نتناول اشعارها بالدراسة لكشف هذا الجانب في قصائدها.

السيرة الذاتية

ولدت في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٩١٧ في بيت اثريّ من بيوت نابلس القديمة، ونشأت بين جدرانها العاليه التي تفصل العالم الخارجي عن الحريم فصلاً تاماً فعاشت حياتها في جو متناقض (السحر ١/ ٣٠٦) و تعرفت الي عالم الشعر عن طريق اخيها الشاعر الشهير ابراهيم طوقان و قد تحولت من كتابة الشعر الرومانسي بالاوزان التقليديه الي الشعر الحر في بدايات حركته (الجوسي، ٢/ ٣٢٦) و كانت اشعار فدوي الوطنيه بين سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٧ محاولات تقليد لأشعار شقيقها ابراهيم الي أن قامت حرب ١٩٤٨ فقلبت حياتها رأساً علي عقب فلم تعد تعاني الفراغ بعد أن تحررت من سجن الحريم و خرجت الي الحياه العامه و راحت تنظم الشعر القومي بتجربه شخصيه صادقه و انفعال نفسي حقيقي و الي جانب أشعارها الوطنيه كتبت فدوي اشعار الحب و العاطفه برغم القيود المفروضه علي هذا النوع بالنسبه الي المرأه بخاصه (السحر ١/ ٣٠٦) توفيت في مستشفى نابلس عن عمر يناهز السادسة و الثمانين سنه ٢٠٠٣ (عن موقع مجله النافذه)

آثارها الشعريه

أصدرت فدوي عدداً من المجموعات الشعريه و حدي مع الايام (١٩٠٢)، ووجدتها (١٩٥٨) و أعطنا حبا (١٩٦٠) و امام الباب المغلق (١٩٦٧) و الليل و الفرسان (١٩٦٩) و علي قمه الدنيا وحيداً (١٩٣٧) تموز و الشيء الآخر (١٩٨٩) و من آثارها العلميه كتاب اخي ابراهيم (١٩٤٦) و سيرتها الذاتيه الشهيره (رحله جبليه - رحله صعبه) (١٩٨٥) و اصدرت الجزء الثاني من سيرتها الذاتيه عام ١٩٩٣ بعنوان الرحله الأصعب، و حصلت علي عدد كبير من الجوائز (الجوسي ١/ ٣٢٦) كما اصدرت مجموعتها الأخيره اللحن الاخير عام ٢٠٠٠ و هي مجموعه اشعار عاطفيه (عن موقع مجله جهه الشعر)

مصادر التجربه الشعريه عند فدوي طوقان

- ١- الظروف الاجتماعيه التي عاشتها الشاعره في أسرتها ذات التقاليد العرفيه الخاصه و التي منعتها من اكمال تعليمها و حرمانها من المدرسه التي تعلقت بها و أشبعت لديها الكثير من حاجاتها النفسيه. تقول فدوي عن تلك الايام : «في المدرسه الفاطميه تمكنت من العثور علي بعض اجزاء من نفسي الضائعه فقد اثبت هناك وجودي الذي لم استطع ان اثبته في البيت ... اصبحت اتمتع بشخصيه بارزه بين معلماتي و زميلاتي (عن موقع مجله المدرسه العربيه)
- ٢- شقيقها الشاعر ابراهيم كان له الحصه الكبرى في تثقيفها و كان بمثابة المعلم لها و لقد أخذ بيدها في طريق الشعر حيث حاولت الشاعره تقليده في كثير من اشعارها.
- ٣- عاطفه الحب النبيله التي نشأت بينها و بين الناقد المصري انور المعداوي علي الورق.

- ٤- حرب ١٩٤٨ احدثت ثوره في حياتها الشعريه و الاجتماعيه ثم حرب ١٩٤٧ و كثير من قصائدها خرجت إلي الوجود من معاناتها للاحتلال الاسرائيلي.
- ٥- موت والدها و شقيقها ابراهيم ساعد لخروجها الي واقع الحياه و المشاركه علي الصعيد السياسي.
- ٦- رحلتها الي لندن في بدايه الستينات فتحت امامها آفاقاً معرفيه و جماليه من الحضاره الأوروبيه.

الواقعيه و اتجاهاتها و ملامحها

لكي يتسنى لنا البحث عن ملامح الواقعيه لابد من عرض مفهومها اللغوي و الاصطلاحي و الاشاره إلي مظاهرها.

يلاحظ أن كلمه الواقع في اللغه مشتقه من وقع، وقع علي الشيء و منه يقع وقعاً و وقوعاً و الواقع هو الحاصل، يقال امر واقع (ابن منظور، ماده وقع) اما عن اصطلاح الواقعيه فجاء في الفلسفه أنه مذهب يقدم الأعيان الخارجيه علي المدركات الذهنيه و يرادبه في نظريه المعرفه بوجه خاص أن للمعاني و الكليات وجوداً مستقلاً عن الذهن و من اوضح صوره مثل افلاطون.

اما عن هذا الاصطلاح في الادب فجاء أنه مذهب يعتمد علي الوقائع و يعني بتصوير احوال المجتمع علي ما هو عليه. (مجمع اللغه العربيه / ماده وقع)

بدأت نظريه الواقعيه اساساً في الفلسفه قبل دخولها مجال الادب فقد كان المقصود بها دراسه اي موضوع كشيء قائم بذاته بصرف النظر عن مظهره الخارجي او علاقته بالتجربه الانسانيه (راغب، ص ٧٠٤) و من اسباب نشأة الواقعيه ان الناس سئموا خيالات الرومانسيين و بعد هم عن عالم الواقع فظهرت الواقعيه في فرنسا سنه ١٨٢٦ و قد اهتمت بتفاصيل الحياه اليوميه فصورتها بدقه و لا يعني ان هذه النزعه لم تعرف قبل ذلك التاريخ و لكن المقصود ان مفاهيم هذه المدرسه لم تتضح الا في مطلع القرن التاسع عشر (بطرس، ص ٣٢٧). اما الرومانسيه و هي المذهب الذي ساد قبل الواقعيه فهي تحمل في ثناياها الكآبه و اليأس و الهروب من المجتمع و حب الطبيعه و التغني بالعزله و ما تثير من الانفعالات الذاتيه و المشاعر الفرديه مما يجعل ثوره المرء مكبوتة في حنايا قلبه تمزقه و تدفعه لليأس و التهرب و اتخاذ المواقف السلبيه (ابحاقه، ص ١٩٢) و حين تغير العصر في صورته الاجتماعيه و العلميه و اصبح يتطلب اسلوباً آخر يرضي حاجاته الجديد كانت الواقعيه معني من معاني استمرار الرومانسيه بحفاظها علي ماصح و ما قوي من عناصرها مع تطويره و تأصيله و إن ظهرت الواقعيه في صورة الرفض للرومانسيه فان ذلك يرجع الي انحراف الحركه الرومانسيه في منتصف القرن التاسع عشر (حسن عبدالله، ص ٨) ذلك الجو الفكري الذي احاط بالواقعيه رجع كفتها في موازين الذوق و الأدب و أصبح الواقع هدفاً منشوداً و اتجاهاً مطلوباً تنادي بها الادباء و النقاد علي وجه العموم (مرزوق، ص ٥٩) اما الواقعيه فقد قسمها البعض إلي واقعيه تقدميه صبت اهتمامها علي المجتمعات البشريه الفقيره، و واقعيه ديكنز و بلزاك تعتمد التطرف في وصف المحيط الاجتماعي و واقعيه تشاؤميه و واقعيه طبيعيه تحاول معالجه المجتمع بالاصطلاحات العلميه، و الواقعيه الاشتراكيه و تعني بما يجب ان

تكون عليه الحياه في الواقع (بترس، ص ٣٢٩) و يصعب أن نصنف الشعراء العرب الواقعيين تبعاً لهذا الاتجاه أو ذلك فقد اختلط الاتجاهان: الواقعيه الطبيعيه و الاشتراكيه بحيث يصعب التفرقه بينهما غير أن الواقعيه الاشتراكيه علي آيه حال كانت هي الأظهر و الأقوي اتجاها عند الشعراء العرب الواقعيين بصفه عامه (هداره، ص ٣٧) و اعانت ظروف ما بعد الحرب العالميه الثانيه في العالم العربي علي احداث تغيير في الخط الفكري الذي يسير فيه الأدب و اعطت الحرب العالميه الثانيه للشعوب المغلوبه علي امرها املاً جديداً في الاستقلال و لذا كثرت الانتفاضات الثوريه و حدثت تحولات و بوقوع مأساة فلسطين بدأت ثمرات الفكر الاشتراكي تدخل بعض المجتمعات العربيه و كان طبيعياً ان ينفر الجيل الجديد من الشعراء من الانكباب علي القضايا الذاتيه و قد دعت الواقعيه الي التخلي عن الذاتيه التي كانت لب الاتجاه الرومانسي و دعت الشعراء الي ملاحظه الاشياء الخارجه عن نطاق الذات و اختيار ماده تجاربهم من مشكلات عصرهم الاجتماعيه (المصدر نفسه، ص ٣٦).

و هناك تجارب يتداولها شعراء و كأنها مضامين متفق عليها كالتمرد و الثوره و ماينسجم معها من رفض اشكال القوه المتسلطه و الاستعمار و النظم التقليديه مع التبشير بالفجر الجديد الذي تحلم به الشعوب (المصدر نفسه، ص ٣٨) و مع التمرد و الثوره و رفض الواقع تبرز ظاهره الألم و الحزن و الاحساس بالضيق و الغربه (المصدر نفسه، ص ٣٩) و حاول الواقعيون نقل جوانب الحياه المختلفه في ادبهم من دون ان يكون عملهم استنساخاً او تقليداً، و صبوا اهتمامهم علي الطبقات الشعبيه العاديه التي لا تنعم برفاه العيش فوجدوا أنها تغرق في البؤس و الفاقه فدعوا الناس إل وعي الظلم الاجتماعى اللاحق باخوانهم و طالبوا بالمساعده في ايجاد العلاج، من هنا كانت النظره التشاؤمييه إلي الخلل الاجتماعى و ربما شاء الواقعيون من تصويرهم للواقع البائس أن ينبهوا إلي الخطر من عدم اصلاحه (فضل، ص ٣٣) و قد يلجأ بعض الشعراء الواقعيين إلي الأساطير اليونانيه أو العربيه و الشخصيات البطولييه و الدينيه أو استخدام الأسلوب الدرامي في شعرهم و ذلك ليبيان نواحي الصراع و تناقضات الحياه أو يستخدم الحوار بأشكاله المختلفه (هداره، ص ٣٨). اذن فالشاعر عندما يتجه نحو استخدام الألفاظ العاميه و الشعبيه فهو يتجه نحو الواقع، و مهما هو جمعت النظرية الواقعيه فهي اتجاه راسخ في الأدب خاصه و الفن عامه لكنه رسوخ نسبي إلي حد كبير شأنه في ذلك شأن كل الاتجاهات الأدبيه التي هي في حقيقتها مجرد تقسيمات نظريه و تصنيفات نقديه يقوم النقاد بتقنينها من أجل أغراض الدراسه و التحليل و التوضيح و من الطبيعي أن ينطوي عمل أدبي واحد علي اتجاهات ادبيه قد تبدو متنافره فيما بينها مثل الكلاسيكيه و الرومانسيه و الواقعيه و السرياليه ... الخ و يظل عملاً عظيماً (راغب، ص ٧١٤)

ملامح الواقعيه في شعر فدوي طوقان

ان الواقعيه ادبا و فنا و فلسفه هي التي كان لها النصيب الأوفر منذ اواخر القرن التاسع عشر من الدعوه إلي الالتزام و تعميقه و قد انطلقت في ذلك من التزامها واقع الانسان في حياته، و بدأت هذه الواقعيه نقديه محتجه متمرده علي الواقع الاجتماعى المحيط بها و عن التمرد و الرفض و الثوره علي الواقع الاجتماعى و الانسانى نشأ الموقف الذي تضمنه مفهوم الواقعيه و هو فيها اساس الالتزام لذلك فان الواقعيه صاحبه

الفضل في توجيه الادب نحو الالتزام (ابوحاقه، ص ٢٨) و انطلاقاً من هذه النظره اذا كانت الدراسات تثبت وجود الالتزام في شعر فدوي طوقان فهذا خير دليل يقودنا للبحث عن الاتجاه الواقعي في شعرها للارتباط الوثيق بين الالتزام و الواقعيه.

من ملامح الواقع الاجتماعي و السياسي المعاش في فلسطين في شعر فدوي طوقان
 إثر حدوث المأساه في فلسطين تشرد الكثير من الفلسطينيين و تشكل جيل من اللاجئين في المنافي و المخيمات و عاش أكثر الشعراء في الملاجئ و لمسوا عن قرب واقع الحياه و قسوتها هناك، و الشاعره فدوي طوقان تقوم بتصوير ملامح العيد في الملاجئ حيث يفقد الفلسطينيون مباحج الأعياد التي اعتادوا عليها في وطنهم قبل المأساه تقول في قصيده مع لاجئه في العيد (الديوان، ص ١٤٢):

و اليوم ، ماذا اليوم غيرُ الذكريات و نارها؟
 و اليوم ، ماذا غيرُ قصة بؤسكن و عارها
 لا الدار دارٌ، لا، و لا كالأمس ، هذا العيدُ عيد
 هل يعرفُ الأعيادُ او افراحها روحُ طريد
 اختاه ، هذا العيد عيد المترفين الهانئين
 عيدُ الألي بقصورهم و بروجهم متنعمين

و ايضاً في قصيده بعنوان رقيه تصور لحظات قاسيه من حياة إمرأه لاجئه مع طفلها و قسوه الظروف عليها مما يوضح لنا واقع حياه الانسان المتشرد فتقول (الديوان، ص ١٤٦)

(رقيه) يا قصه من مآسي الحمي سطرته اكنف الغير
 و يا صوره من رسوم التشرد، و الذل، و الصدعات الأخر
 طغي القر، فانطرحت هيكلاً
 شقي الظلال، شقي الصور!!

و في قصيده بعنوان نبوءه العرافه تشير إلي مراسيم يعتقد بهما بعض الناس و هي التعاويذ و نبوءات قارئه الفنجان او العرافه او غيرهم ممن يتنبؤون بالمستقبل حيث تكون اكثر هذه النبوءات هراء إلا أن الشاعره تجيء لنا بعرافه تعطينا نبوءات تحدث في الواقع بدون شك و لها القدره الكامله علي التنبؤ الصحيح و قد نظمت الشاعره هذه الأبيات إثر الاشتباكات التي حصلت بين منظمه التحرير الفلسطينيه و دوله الأردن عام ١٩٧٠ و تربط بين واقع اجتماعي و واقع سياسي معاش فنقول (الديوان، ص ٥٩٠):

قالت لي العرافه الدهريه:
 «تنبئني عنك الرياح في هبوبها»
 «تقول»

«تعويذه الشر المحيق ههنا
 بيتك المهلهل المشطور
 معقوده تظل لا تزول

حتي يجي الفارسُ المكرسُ المنذور

و في هذه الابيات تغلف الشاعره هذه الواقعيه بالرمز فالمرأه الشابه ترمز للشعب الفلسطينيه، و الفارس يرمز للفدائي و العرافه التي جاءت بها الشاعره تختلف عن

مثيلاتها لأن نبوءاتها بالمستقبل واقعة لا محاله و تسأل الشابه العرّافه و تقول (الديوان، ص ٥٩١)

متي يجيء الفارسُ المنذور

«حين يصيرُ الرّفص»

«محرقة و جلجله»

لكنما الرياحُ في هبوبها

تقولُ حاذري

اخوتك السبعه

و المقصود من الاخوه السبعه هم الدول العربيه الذين اتهموا بالخيانة بالنسبه للقضيه الفلسطينيه و تتحقق النبوءه و يأتي الفارس و حب فلسطين يحمي ظهره العريان أي أن الدول العربيه تراجعت عن حمايته و لكن تشبته بأرضه هو مصدر القوه له و عن ذلك تقول الشاعره (الديوان، ص ٥٩٣)

حبك يحمي ظهري العريان

التصفي بي ، لا تخافي الليل و الذوبان

جاء الفارسُ ليبتل التعاويذ الشيطانيه و لكن الاخوه السبعه شنوا الهجوم عليه و طعنوه، و كما قتل قابيل أخاه متجاهلاً رابطه الاخوه هكذا فعلت الدول العربيه و اختيار قابيل اختيار في محله من قبل الشاعره تقول (الديوان، ص ٥٩٧)

وراقُ اللهبُ تُرقصها ریحُ الشيطان

الموتُ كبيرُ يتنامي في كل مكان

الموتُ و قابيلُ الأحمر في كل مكان

سألتكم بالحب، بالقربي سألتكم و بالحنان

و الشاعره تقوم بتغيير نبوءه العرّافه بالصوره التي توّده لمستقبل فلسطين اي عوده الوطن فتقول (الديوان، ص ٦٠١)

حين تتم دوره الفصول

تُرّجعه مواسم الأمطار

يطلعه آذار

في عربات الزهور و النوار

نهايه مشرقه لمستقبل فلسطين حين يطلع الفارس في شهر آذار شهر الأمل و التجدد و الانبعاث.

ولكون الشاعره فلسطينيه فان شعرها يتلون بحقيقه الاحتلال الاسرائيلي و احباطات الحياه التي يتعرض لها المواطن الفلسطينى في حياته و المعاناه التي تتولد من معرفته بأنه مواطن من الدرجه الثانيه في بلده و تنقلنا إلي شباك التصاريح لنطلع علي هذه المعاناه فتقول (الديوان، ص ٥٢٩)

وقفتي بالجسر أستجدي العبورُ

أه أستجدي العبورُ

اختناقى، نفسى المقطوعُ محمولٌ علي

وهج الظهيره

سبع ساعات انتظارُ

و يُدَوِّي صوتُ جنديِّ هجين
لطمه تهوي علي وجه الزحام:
(عرب، فوضي، كلاب)
ارجعوا، لا تقربوا الحاجز، عودوا يا كلاب)
و يدُ تصفُقُ شباكُ التصاريح
تسدُّ الدربَ في وجهِ الزحامِ
هذا الواقع المرّ يملأ القلب ثورة و ناراً و بهذه التعبيرات الدارجة و الألفاظ المستخدمة
في الواقع من قبل الغزاة. تنقل لنا الشاعر لحظات تنبض بمراره المأساه.
و عن واقع السجون و التعذيب و الاعتقالات تنقل لنا جانباً من المعاناة هناك في
قصيده إليهم من وراء القضبان (الديوان، ص ٦١٥)
في نصف هذا الليل ... آه
حذاؤُه يدقُ في الدهليز .. آه
مبتدعُ التعذيب
أتِ و تدنيني خطاه
من غرفه التحقيق ... آه

الأطفال في عالمهم الطفولي يحبون اللعب و اللهو و الرسم و اقتناء الحلوي و سماع
القصص و الحكايات و ... و لكن واقع الطفل في فلسطين غير ذلك فمشاهداته تختلف
لذا عالم تخيلاته معكّره و الشاعر. فدوي طوقان تنقل لنا زاويه من قسوه الحياه علي
الأطفال فنقول في قصيده رساله إلي طفلين في الضفة الشرقيه (الديوان، ص ٤٩٧)
أحبتني الصغار خلف النهر يا أحبتي
عندي أقاصيص لكم كثيره
غير حكايا سندباد البحر
غير قصه الجنيّ و الصياد
و قمر الزمان و الأميره
نعم الشاعر تذكر لنا أن هناك أقاصيص واقعيه تروّع الأطفال فما هي هذه
الأقاصيص (الديوان، ص ٤٩٧)
أخشي علي دنياكم الصغيره
من قصص السجين و السجان
من قصص النازي و النازيه
في ارضنا، فإنهار هييه
و التجارب الواقعيه جعلت من أطفال فلسطين اطفال الحجاره هذا الجيل المختلف في
كل شيء عن أقرانه، و تصور الشاعره تمرد هؤلاء علي واقعيهم الأليم فنقول (عن موقع
مجله عربيات)
لن يمسك الموتُ الخؤونُ قلوبهم
فالبعثُ و الفجرُ الجديد
رؤيا ترافقهم علي درب الفداء
انظر في انتفاضتهم صقوراً يربطون الأرض
و الوطن المقدس بالسماء

و الشاعره فدوي طوقان علي الرغم من أنها لن تنجب اطفالاً إلا أنها تجسّد عواطفها الجياشه تجاه الأطفال في كثير من أشعارها و تفرح لأفراحهم و تتألم لآلامهم و في قصيده جريمه قتل في يوم ليس كالايام تنقل لنا صورته واقعيه عن اللحظات التي استشهدت فيها الطالبه الشهيده منتهي حوراني (الديوان، ص ٥٦٢)

(بغرفتها أمها المتعبه

تُلمِّمُ أوراقي المدرسيه:

حذار العدي يا بُنيّه

فعين العدو تصيب)

و ما كذب القلب، كان عدو الحياه يطاردها في المسيره

و ينشب في عنقها مخلبه

تفتّح مريولها في الصباح

شقاق حمراً و باقات ورد

الاحساس بالغربه و الضياع و الحزن و الألم الناتج عن الواقع المرير

الحزن عند الواقعيين يختلف عن الحزن عند الرومانسيين فهو حزن يأسى علي

الواقع الأليم و عن هذا نري الشاعره طوقان تحزن علي الذين

استشهدوا من أجل الوطن و بذلوا ارواحهم الطاهره تقول (الديوان ص ٥٥٩)

ذهب الذين نحبهم

لا صوتٌ للأحزان، انظر

أورقتُ صمّتا علي شفتيّ احزاني

و أطبقت الحروف شفاها

هذا الحزن قد سلبها قدرتها علي الكلام و لكن علي الرغم من كل هذا الحزن فهي

بانتظار فجر الانتصار الذي كان رؤيا الذين ذهبوا و تحنّ لذلك اليوم و تقول (الديوان،

ص ٥٦٠):

عند الينابيع الحزينه سوف نبقي ظامنين

حتي قيامتهم مع الفجر الذي

حضره رؤيا لا تموت و لا يذوب لها حنين

و في قصيده بعنوان فلسطينيه اردنيه في انجلترا تقرّب لنا واقعاً ملموساً يمر به

الفلسطينيون في خارج بلدهم و خاصه في البلاد الأجنبيه، فهم مجهولوا الهويّه فالكل

يذعن أن أرض فلسطين لليهود و لا يعترفون بعربيتها، و قد نقلت لنا هذا الاحساس

بالضياع علي شكل حوار لتقرّبه للواقع أكثر فتقول (الديوان، ص ٤١١):

- : من أين؟ اسبانيه

- : كلا

انا من ... من الاردن

- : عفواً من الاردن؟ لا افهم

- انا من روابي القدس

وطن السنّي و الشمس

- : يا ، يا ، عرفتُ، اذن يهوديّة

يا طعنه أهوت علي كبدي

ذكَرْتَنِي
 أَنِي مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمَزَّقَتْ
 أَنِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 مِنَ الْجُذُورِ اقْتُلِعُوا، مِنَ الْجُذُورِ
 وَأَصْبَحُوا عَلَيَّ مَدَارِجَ الرِّيحِ
 مَبْعَثَرِينَ هَا هُنَا وَ هَا هُنَا
 لَا يَنْتَمُونَ
 إِلَيَّ وَطَنًا.

الاستعانة بالاساطير و الشخصيات التاريخيه و الدينيه لتصوير الواقع
 ذكر الشعراء الفلسطينيين المسيح (ع) كثيراً في أشعارهم و ذلك لوجود التشابه بين حياته عليه السلام و حياه الفلسطينيين و الشاعره فدوي طوقان تشكو إلي السيد المسيح (ع) و تذكر الواقع المرير في القدس و تقول (الديوان، ص ٥٠٠):

القدسُ علي دربِ الآلامِ
 تُجلدُ تحت صليبِ المحنه
 تُنزفُ تحت يدِ الجلادِ
 و العالمُ قلبٌ منغلِقٌ
 دون المأساهِ

و في قصيده كوايبس الليل و النهار تأتي بشخصية عنتره هذا الفارس العبسي الذي أصبحت قصه شجاعته من أساطير العرب و حاكوا حولها روايات مختلفه تقول إنه ظل واقفاً ليفوت علي الأعداء فرصه تمزيق بقايا القبيله التي افتداها بنفسه، و عنتره هنا يرمز للقدائي و عبله ترمز لفلسطين تقول الشاعره (الديوان، ص ٥٨٤):

عنتره العبسي ينادي من خلف السور
 - يا عبل تزوجك الغرباء و اني العاشق

- انا ابن العم و عرق العين
 (يا ويلي عنتر مختبيء في اجفاني)

- و بنوعيس طعنوا ظهري
 في ليله غدر ظلماء

و تلزم الاشاره إلي أن ذكر الشخصيات التاريخيه و الدينيه و الاسطوريه من قبل الشعراء تدل علي اضطراب واقع الحياه و عدم استقرارها مما يجبرهم إلي البحث عن شخصيات تعيد إلي روح الحياه الاستقرار أو بقصد إحياء شخصيات قويه تعيد للشعب المنكوب حقه و قد يكون لوجود الهوه العميقه بين واقع الحياه و بين اهدافه المرجوه سببا للتوسل بالشخصيات الدينيه أو الأسطوريه

التمرد و التبشير بفجر تحلم به الشعوب المغلوبه علي أمرها

إذا كانت المؤامرات تُنفذ للإضرار بمصالح الانسان و حريته وكيانه فانه سيرفضها و هذا ماحدث بالفعل علي أرض فلسطين، لقد دُبرّت الدسائس لاحتلال الأراضي الفلسطينية و بعد رسوخ الكيان الصهيوني بدأت ممارسات سياسه العدوان و الارهاب و البطش بالوطنيين، فهنا حريه الانسان و حقوقه و كرامته ممتهنه و الشاعر الملتزم بوجه شعره لخدمه الانسان و يحاول فتح الاعين علي اصل البلاء و يشحذ الضمائر بالثوره علي التناقضات التي تمزق حياه الانسان و يهييء النفوس للتغيير المنشود و الشاعره فدوي طوقان ملتزمه بقضايا الوطن و تجنح للواقعيه و تقول في احدي قصائدها (الديوان، ص ٥٤٨)

يا غدنا الفتى حَبْرَ الجِلاذِ

كيف تكونُ رِعْشَهُ المِلاذِ

خَيْرِهِ كيف يُولِدُ الأَفاحِ

من ألم الأرض و كيف يُبعثُ الصبّاحِ

و في قصيدهه حي أبدأ تناجي وطنها الحبيب و تعلن بعزم أن العدوان الصهيوني لن يقتل هذا الوطن تقول (الديوان، ص ٤٩٠)

لن يستطيعوا يا حبيبنا

أن يَفْقَوا عَيْنِكَ لَنْ

ليهدموا، ليحرقوا، فمن شقانا

من حُرّنا الكبير، من لزوجه

الدماء في جُدراننا

من اختلاج الموت و الحياه

سُبعثُ الحياه فيك من جديد

نتائج البحث

ان ملامح الواقعيه في شعر فدوي طوقان مشهوده و لكن بعد أن كسرت شرنقه الذاتيه التي نسجتها حول نفسها و هذا واضح في ديوانها فكما كان لأحداث الحرب العالميه الأولي و الثانيه دور للثوره علي الرومانسيه فان مأساه نكبه عام ١٩٤٨ و الأحداث الجاريه علي أرض فلسطين سببت خروجها إلي عالم الواقع و معترك الحياه. إلا اننا يمكن أن نعتبر بعض قصائدها الذاتيه واقعيه باعتبارها سجينه الاعراف و التقاليد و مرت بلحظات اليأس و الوحده و عانت هذه المعاناه بالواقع فهي لم تتصنع هذه الذاتيه. و تطرقت لملامح الواقعيه الاجتماعيه و السياسيه التي كانت تمر بها أو تسمعها و تشاهدها إلا أن سمات التمرد و المقاومه عندها أقل من عند غيرها من الشعراء الذين تعرضوا للسجن و التعذيب و المطارده و الصوت الحماسي أقل وقعا. و سمات الحزن و الاحساس بالضيق و الألم الناتج عن الواقع واضح في أشعارها إلا أن هذا الحزن و اليأس يقودها للثوره و التبشير بالفجر الموعود. و يمتاز شعرها بشفافيه التعبير و ايحائيه الصوره، و المعاني و الألفاظ تنساب في أشعارها بحركه تنبض بالواقعيه و

تربطها بدنیا الواقع و قد تتداخل عندها الرمزيه و الواقعيه أحياناً، اما الرمزيه عندها فواضح و غيرمعقده. و الكثير من قصائدها قد خرجت إلي الوجود لمعاناتها من تجاربها الذاتيه الواقعيه او للتجارب الواقعيه علي مسرح الحياه.

المصادر

- ١- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٩٨م).
- ٢- ابو حاقه، احمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى (١٩٧٩م).
- ٣- بطرس، انطونيوس، الأدب تعريفه انواعه مذاهبه، الموسسه الحديثه للكتاب، طرابلس، لبنان، (٢٠٠٥م).
- ٤- الجبوسي، سلمى الخضراء ، موسوعه الادب الفلسطيني المعاصر، الموسسه العربيه للدراسات و النشر، بيروت (١٩٧٧م).
- ٥- راغب، نبيل، موسوعه النظريات الأدبيه، الشركه المصريه العالميه للنشر، لوجمان (٢٠٠٣م).
- ٦- السحار، سعيد جوده، موسوعه اعلام الفكر العربي، مكتبه مصر الفجاله، تاريخ؟.
- ٧- طوقان، فدوي، ديوان فدوي طوقان، دارالعوده، بيروت، (٢٠٠٠م).
- ٨- عبدالله، محمد حسن، الواقعيه في الروايه العربيه، دارالمعارف مصر (١٩٧١م).
- ٩- فضل، صلاح، منهج الواقعيه في الابداع الادبي، دارالكتاب المصري، القاهره، دارالكتاب اللبناني بيروت (٢٠٠٤م).
- ١٠- مجمع اللغه العربيه، المجمع الوجيز/ منشورات دارالثقافه، ايران قم (١٩٩٠م).
- ١١- مرزوق حلمي، الرومانتيكيه و الواقعيه في الادب، دارالنهضه العربيه بيروت (١٩٨٣م).
- ١٢- هداره، محمد مصطفى / بحوث في الأدب العربي الحديث، دارالنهضه العربيه/ بيروت (١٩٩٤م).

المواقع الإلكترونيه

- 1- [http:// www.Jehat.com/Jehat/ar/Gharreb/fadwa.htm](http://www.Jehat.com/Jehat/ar/Gharreb/fadwa.htm).
- 2- <http://www.schoolabia.net/arabic/fadwa-tokan/fadwa1.htm>.
- 3- [http:// www.arabiyat.com/content/1298113](http://www.arabiyat.com/content/1298113) سبتمبر ٢٠٠٣-٧
- 4- [http://ezboard.com/fndbfrm.20.show_prev_Message? Topic ID=47 topic](http://ezboard.com/fndbfrm.20.show_prev_Message?Topic_ID=47)